

فصلية اللسان المبين (بحوث في الأدب العربي)
(علمية محكمة)

السنة الثامنة، المسلسل الجديد، العدد واحد والثلاثون، ربيع ١٣٩٧، ص ٧٠-٥١

توظيف الألوان وافرازاتها الدلالية في شعر عبدالرحيم محمود*

على خضري، أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة خليج فارس، بوشهر
رسول بلاوي، أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة خليج فارس، بوشهر
فاطمة محمدي، الماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة خليج فارس، بوشهر

الملخص

إنّ اللون عنصر من عناصر الطبيعة، بل من أجمل هذه العناصر فكثيراً ما نجد صدها في نتاج الشعراء بقوة وبوظائف جديدة. وقد دأب الشعراء على استخدام هذه الظاهرة في أشعارهم للبناء الفني بغية الكشف عن أحاسيسهم الكامنة وراء الألوان وقد أضفوا عليها حمولة دلالية تكشف عن توجهاتهم الفكرية وفقاً للسياق الشعري وطبيعة الموضوع الذي بصدد التعبير عنه. ومن الشعراء الذين جعلوا قصائدهم ملوّنة بهذه الألوان هو الشاعر الفلسطيني المقاوم عبدالرحيم محمود حيث اتخذ اللون للتعبير عن عواطفه وخواجه تجاه وطنه والحوادث التي تجري عليه.

لقد تطرّقنا في هذا البحث إلى دلالات الألوان في أشعار عبدالرحيم محمود معتمدين على المنهج الوصفي - التحليلي وقد اعتمدنا على الإحصاء لتحريّ الدقة والشمولية. كذلك حاولنا أن نكشف عن مدى تأثير هذه الألوان في تعبير الشاعر وعواطفه الثورية والمتحمّسة. وقد توصلنا في بحثنا هذا إلى عدّة نتائج أهمّها: أولاً: وظّف عبدالرحيم محمود الألوان بكثافة بصورة مباشرة وغير مباشرة في نتاجه الشعري بغية التخلّص من خشونة اللغة ورتابتها في شعر المقاومة، والولوج في عالم الطبيعة الملوّن حيث يلائم ذوق المتلقي. وثانياً: وظّف الشاعر اللون الأبيض أكثر من سائر الألوان للدلالة على هيمنة الأمل، فهذا اللون يدلّ في طبيعته على الحركة والطهارة والروح الإيجابية في نفس الشاعر مهما جرت من الحوادث المأساوية في بلده. وثيمة المقاومة دفعت الشاعر لكي يركّز على بعض الألوان كالأبيض والأسود والأحمر بشكل مباشر دون غيرها لما تحمله من دلالات وإيحاءات ثورية تتطلّع إلى الغد المشرق (الأبيض) والخروج من الواقع المتأزم (الأسود) بنضال وكفاح وجهاد مستمر (الأحمر).

الكلمات الدلالية: الشعر المعاصر، فلسطين، دلالات الألوان، عبدالرحيم محمود.

إنّ الألوان تسيطر على حياة البشرية، وتعدّ مصدرًا من مصادر الجمال والخصوبة في حياتهم، لأنّ للظواهر الكونية التي تحيط بالبشر ألواناً مختلفة مثل: البحر الأزرق، والفجر الأبيض، والليل الأسود، و... ثم استخدمها البشر لتزيين البيوت والأشياء التي تخصّهم. فالألوان ليست مجرد مساحات شكلية فارغة من الدلالات الجماليّة بل تتخذ أحياناً دلالات وإيحاءات رمزيّة حسب العلاقة التي ترد فيه؛ فهذه الألوان المنتشرة في الطبيعة تفرض هيمنتها على نفسيّة الانسان وتقل له زخماً دلاليّاً وشعوريّاً متناسقاً مع جمال الطبيعة.

الطبيعة بما تحتويها من الألوان المتنوّعة وجمالها المدهش كانت مصدرًا لإلهام الشاعر العربي على مرّ العصور من العصر الجاهلي حتى زماننا الحاضر. كانت تُستخدَم الألوان في الشعر العربي القديم كما هي في الحياة الواقعيّة وكما وردت في اللغة، لكن الشاعر الحديث أطلع على أسرار هذه الألوان وجمالها ببصيرة عميقة فاستعان بها للتعبير عن العمق الشعوري والفكري متّخذاً منها أداة رمزيّة تكشف عن خفايا علاقتها بالانسان.

الشاعر كالرسم يلزّن شعره بالألوان المختلفة وكلّ لون يرمز إلى شيء حسب طبيعة السياق الذي يرد فيه؛ فلا يخفى أنّ الألوان في كلّ عصر من العصور العربية تلمح إلى شيء جديد ومختلف وتساعد الشاعر أن يكشف عمّا يختلج في عواطفه الكامنة دون أن يلفظ ذلك الإحساس، والمتلقّي مع ذكائه وفراسته وسياق الجملة يحاول الكشف عنه وهذا الأمر يجعل الشعر حيّاً وقابلاً للتفسير في كلّ زمن من التاريخ.

إنّ هذه الدراسة تسعى لتكشف عن مدى توفيق الشاعر الفلسطيني عبدالرحيم محمود في بيان أحاسيسه عبر اختياره الألوان في قصائد مثل «الحنين إلى الوطن، أيام النضال، ذكرى الزمان، وموت البطل و...» لتوحي بالمقاومة وما لهذه الأشعار من تأثير على المتلقي، وهكذا قمنا بربط اللون بشعر المقاومة في أشعار عبدالرحيم محمود. فقد وجد الشاعر في الألوان طاقة دلالية فاعلة للتعبير عن المقاومة فبعد أن كان الشعراء يركّزون في شعرهم النضالي على لغة خشنة لصدّ العدو، حاول عبدالرحيم أن يستخدم لغة ملوّنة بألوان الطبيعة حتى يجذب المتلقّي نحوه ويشدّ عزيمته بغية التصدي للمحتلّ بشكل مستمرّ ومتواصل.

وأما المنهج المتّخذ في هذا البحث فهو المنهج الوصفي - التحليلي بالاستعانة من الاحصاء لتصبح الدراسة أكثر موضوعية، وكاشفة لكميّة استخدام الألوان في الشعر؛ فهذا المنهج يمهد الطريق للمنهج الوصفي ويكمل الدراسة ويجعل البحث علمياً، والرسم الدائري الذي اعتمدنا عليه في البحث يبيّن اللون الذي استُخدم بكثافة في شعر عبدالرحيم محمود.

لقد تناولنا في بحثنا تحليل الأبيات وفقاً لاستخدام الشاعر للنوعين من الألوان: اللون المباشر واللون غير المباشر، ثمّ درسنا ما لهذه الألوان من تأثير على إظهار عواطف الشاعر وكذلك بيّنا دورها في الأغراض الحماسية والثورية وما فيها من الوحدة الفنيّة. وفي نهاية المطاف أضفنا جدولاً إحصائياً شاملاً للألوان المتواجدة في ديوان الشاعر تكملة للبحث ومقارنة لتبيين نسبة الألوان المستخدمة فيه.

هذا البحث يركّز على الإجابة عن الأسئلة التالية وهي:

١. ما مدى توظيف الألوان بصورة مباشرة أو غير مباشرة في ديوان عبدالرحيم؟
٢. ما هي الأسباب التي دفعت الشاعر إلى استخدام الألوان في تجربته الشعرية؟
٣. ما هي الأغراض الدلالية التي قصدها الشاعر في توظيفه لهذه الألوان؟

١-٢- خلفية البحث:

الدراسات التي تناولت قضية "اللون" كثيرة، منها: كتاب «اللغة واللون» للكاتب أحمد مختار عمر وقد خصّص هذا الكتاب إلى اللون ومدى تأثيره على الحياة وكذلك قام بالبحث حول دلالات الألوان المختلفة وصدائها في المجتمع والنفس. ومن الكتب الهامة جدًّا في مجال الألوان تجدر الإشارة إلى كتاب «اللون ومقامات النفس: شعر زهير بن أبي سلمى مثلاً» لعبيد شحادة وقد ركّز فيه على الدلالات النفسية لتوظيف اللون في ديوان الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى. وكتاب «عنصر اللون في شعر المتنبي» للباحث عبدالله أحمد باقازي وقد عالج فيه اللون ودلالاته في شعر أبي الطيب المتنبي. وكتاب آخر «اللون في الشعر الأندلسي» لأحمد مقبل محمد منصور يناقش فيه عنصر اللون وافرآته الدلالية في الشعر الأندلسي. وكتاب «اللون في الشعر العربي قبل الإسلام / دراسة ميثولوجية» للباحث ابراهيم محمد علي، وقد قام بدراسة اللون في الصور الشعرية في العصر الجاهلي خاصة بعض المعلمات من منظور ميثولوجي.

ومن الرسائل المسجّلة في هذا المجال، رسالة عنوانها: «الدلالة النفسية للون في شعر الطبيعة في العصر الأندلسي» لعبدالعزیز غنام المطيري، قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير بجامعة الشرق الأوسط سنة ٢٠١٤م، ويتكلّم الباحث فيها حول عوامل استخدام الشعراء الأندلسيين من اللون أكثر من سائر شعراء العرب، وقد توصل من خلال بحثه إلى أنّ طبيعة الأندلس أدت إلى الاستعانة بالألوان في أشعارهم. وهكذا توجد رسالة كتبها محمد حمدان تحت عنوان «دلالات الألوان في شعر نزار قباني» جاءت هذه الرسالة لنيل درجة الماجستير بجامعة النجاح الوطنية في نابلس وقام بدراسة الألوان المختلفة في ديوان الشاعر وكذلك قام بإحصاء الألوان الموجودة في شعر نزار. وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى مقالٍ موسوم بـ «لونيات ابن خفاجة الأندلسي» لصديق عسكري وزهراء زارع فخري ومحترم عسكري فقد نُشر في مجلّة اللغة العربية وآدابها عام ٢٠١٢م، وقام الباحثون في هذا المقال بالبحث حول أنواع الألوان لاسيّما اللون المباشر واللون غير المباشر ومدى فوائد كلّ منهما في الأدب. ومقال «دالت شناسی رنگ و جایگاه آن در مبانی ادبیات پایدارى (نمونه مورد پژوهش: نزار قبانی)» للباحث يدالله پشابادي وقد تمّ نشره في مجلّة "ادبیات پایدارى" الصادرة عن جامعة کرمان. وقد اعتبر الكاتب نزار قباني من أبرز شعراء المقاومة الذين يحسنون توظيف الألوان برمزية وحرقيّة للتعبير عن أفكاره وآراءه النضالية. ومقال «تحليل روان شناختی رنگ سرخ و سیاه در اشعار صائب» لسید کاظم موسوی وآخرین في مجلّة "پژوهش های ادب عرفانی" التابعة لجامعة اصفهان. يعتقد الباحثون أنّ الشاعر للتعبير عن القضايا الاجتماعية اعتمد على الألوان وتوصّلوا

إلى أنّ لوني الأحمر والأسود لهما الصدارة في شعره بين الألوان الأخرى. ومقال آخر موسوم بـ «نسبت كاربرد رنگ وازه‌ها با روانشناسي شخصيت در شعر شاملو» لناصر نيكوبخت وسيدعلي قاسم زاده، وقد ركّز الباحثان على الألوان وعلاقتها بنفسية الشاعر وما ينتج عنها من دلالات.

ومن البحوث التي يمكن ذكرها في بيان تجارب الشاعر الفنية هي كتاب: «الشاعر الفلسطيني الشهيد عبد الرحيم محمود» لجابر قميحة تناول فيه الكاتب حياة الشاعر والحوادث الملمّة بأصدقاءه من الشهداء والشعراء، واكتفى بذكر نماذج لمناسبات أنشد فيها الأشعار دون تعليق. وتُوجد رسالة جامعية موسومة بـ «الصيغ الصرفية ودلالاتها في ديوان عبد الرحيم محمود» للباحثة حنان جميل عابد من جامعة الأزهر في غزة ونُقشت الرسالة عام ٢٠١١م، وهذه الرسالة في حقيقتها إحصائية عن الصيغ المختلفة الصرفية التي استخدمت في الديوان ولم تدرس تأثير هذه الصيغ على شعر الشاعر. المقال الذي كُتب حول تجربة الشاعر يحمل عنوان «ملاحم المقاومة في شعر عبد الرحيم محمود» لعلي خضري ورسول بلاوي وفاطمه محمدي، المطبوع في مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، سنة ١٤٣٧هـ.ق. قد تطرق هذا المقال إلى أهمّ ملاحم المقاومة التي استخدمها عبد الرحيم محمود في شعره، وهذه المظاهر تشمل الدعوة إلى الكفاح وثناء الشهيد والأمل إلى المستقبل وتنديد مجلس الأمن والحنين إلى الوطن ثمّ يستعرض الباحثون، العوامل التي جعلت شعر الشاعر مطبوعاً بطابع الثورة والحماس.

وأما البحث الذي نحن بصدد دراسته في شعر عبد الرحيم محمود فهو دراسة عن الألوان في قصائد المقاومة لهذا الشاعر الشهيد وافرازاتها الدلالية وسرّ توظيفها في النص، وهي دراسة فريدة من نوعها في هذا المجال إذ لم نجد دراسة شاملة عن الألوان في شعر هذا الشاعر توفي بالمقصود. والذي دفعنا إلى اختيار الموضوع هو أنّ الشاعر عبد الرحيم شاعر المقاومة، واللون في شعره إحدى الأساليب المؤثرة في ترسيم إحساس الشاعر والشعور الذي يسيطر عليه.

٢- دلالات الألوان في شعر عبد الرحيم محمود

جاء في "لسان العرب" عن اللون: «اللون: هيئة كالسواد والحُمرة، ولَوْنُهُ فتلَوَّنَ. ولَوْنٌ كَلَّ شَيْءٌ: ما فصلَ بينه وبين غيره، والجمع ألوان». (ابن منظور، ١٩٩٤: مادة لون) وفي مقاييس اللغة: «اللام والواو والنون: كلمة واحدة وهي لون الشيء كالحرّة والسواد، ويقال تلَوَّن فلان: اختلفت أخلاقه». (ابن فارس، ١٩٧٢: فصل اللام والنون وما يليهما) وفي الاصطلاح فاللون يمثّل الصورة الخارجية للشكل وهو يُدرك بواسطة الجهاز العصبي في عملية الإبصار، ومن خلال الشبكة تتمكّن من رؤية الألوان. (عميساوي، ١٤٣٧: ١٢) إنّ العدد الهائل الذي عدّه المحققون للألوان يرجع إلى بصر الإنسان لأنّ «الألوان المرئية في الطيف الشمسي هي ستة ألوان مميّزة، إلّا أنّ العين البشرية قادرة على تمييز ما لا يقلّ عن سبعة ملايين من الألوان»، (صالح، ٢٠١٠: ٥٥) لهذا السبب تغطّي الألوان لغات كثيرة في المعاجم العربية.

طالما استعان الشعراء بالألوان في أشعارهم وهم أخذوها كـ«صور تعبّر عن موضوعات الحياة، وانفعالات الفنان بها، والتدقيق في الآثار الأدبية يرشدنا إلى أنّ استخدام اللون في هذه الآثار ليس صدفة، بل له علاقة وثيقة بجميع المستويات البنيوية، والبلاغية، والتعبيرية للنصّ الأدبي» (قاسمي حاجي آبادي، ١٣٨٩: ٨٤)؛ فلكلّ لون دلالات

مختلفة مع تغيّر المؤثرات النفسية والمقاييس الذوقية وهذا الأمر يدلّنا على عدم ثبات كثير من الأحكام التي أصدرها الباحثون لأنّ بعض الدلالات تتغيّر بمرور الزمن.

جديرٌ بالذكر أنّ الشعراء كأطبّاء النفس يعرفون تأثير كلّ لون في الإنسان فيختارون الألوان وهم يدركون طبيعة الإنسان. بل إنّ «الصور والألوان تنطلق من جَوَانِيَةِ الشاعر، وخبرته البصرية، ووعيه التاريخي، وحفرياتهِ الأسطورية، وتجربته النقدية، وتحوّله ومشاهداته التشكيلية، وتتوّع اهتماماته بين الفنون، بحيث تصبح الصورة ليست مجرد أداة للمعرفة فحسب، وإمّا أداة للحرية أيضاً». (نشوان، ٢٠٠٤: ١٢٦)

لا نستثني شعراء المقاومة عن مجالهم فهم أيضاً يطلون أشعارهم بألوان مختلفة بغية التعبير عن مقاصدهم بأسلوب فني جديد وهكذا يستعينون في أشعارهم بالألوان التي تبعث الحزن وما يأتي إثرها من الحوادث. والشاعر الفلسطيني عبد الرحيم اتخذ الألوان باعتبارها رموزاً موحيةً في أشعاره كاللون الأحمر رمزاً للدم والجرح، واللون الأسود رمزاً للحزن والفراق وهكذا بالنسبة لسائر الألوان. وقد أحسن الشاعر استخدام هذه الألوان الموحية التي تقترب من الطبيعة حتى يشعر المتلقي بارتياح فلا يسأم النضال بل يشعر براحة وسرور في كفاحه. وفي مايلي قمنا بدراسة الدلالات المباشرة وغير المباشرة لكلّ لونٍ وما توحى به في السياق التي ترد فيه:

٢-١- اللون المباشر وغير المباشر

اللون المباشر هو اللون الذي استخدمه الأديب أو الشاعر بلغته تحديداً كاللون الأسود والأحمر أو «هو الإتيان بلفظ اللون أو مصطلح الخاصّ به، مثل الأزرق والأشهب والأسود والأحمر، ومشتقاتها المأخوذة من هذه الألفاظ كالحمرء وأحمر» (عسكري وآخرون، ٢٠١٢: ٨٣) وهذا النوع من اللون عند عبد الرحيم يظهر في ثلاثة ألوان، وهي الأبيض، والأسود، والأحمر، ولكلّ هذه الألوان دلالات مختلفة في ما يأتي.

واللون غير المباشر عند الشعراء والباحثين فهو «الإتيان بلفظ آخر يتمّ استنباط مفهوم اللون من هذا اللفظ. كاستعمال الصبح للتعبير عن الأبيض والليل للتعبير عن الأسود؛ ذلك لأنّ هاتين الكلمتين (أبيض وأسود) مرتبطتان بالنور والظلام» (نفس المصدر)، وهذا التقسيم يحتلّ حيزاً واسعاً في اللغة، لكثرة وجودها في حياة الإنسان وهكذا علاقة الألوان به وسعة انتشارها في الطبيعة وانعكاسها في حياة البشر. واستعمل عبد الرحيم اللون غير المباشر كثيراً في شعره، وقد جاء متنوعاً ومكثفاً بالنسبة إلى اللون المباشر لأنّ الشاعر في شعره التجأ كثيراً إلى الطبيعة التي تحيط به وتهيمن على كيانه ورؤيته للحياة النضالية. والألوان التي ندرسها تحت هذا العنوان فهي الأبيض والأسود والأحمر والأخضر.

٢-١-١. اللون الأبيض

أ. الدلالة المباشرة:

اللون الأبيض المباشر له دلالات مختلفة حسب طبيعة السياق، فهو يدلّ على «التفاؤل والأمل والخير» (المصدر نفسه) ولكن مع وجود الدلالة الإيجابية في هذا اللون توجد الدلالة السلبية وهي دلالة هذا اللون على الموت

«والتشاؤم والاقتراب من الخروج عن الدنيا، ويرتبط ذلك التشاؤم بلون الشيب» (الزواهرة، لا تا: ٧٧) ولكن غالبية الشعوب تتفق على دلالة البراءة والطهارة للون الأبيض. (صانع، ٢٠٠٣: ١١٨). وشعر المقاومة وجد هذا اللون مشحوناً بدلالات وإحساءات مشرقة فهو يوحي بالأمل والتطلع إلى الغد الزاهر، فلطالما نجد الثوار يتفائلون باللون الأبيض ويشعرون براحة البال والانتصار المرجو والسعادة التي يبحثون عنها من خلال تاريخ نضالهم وكفاحهم. اللون الأبيض في ديوان الشاعر الشهيد عبدالرحيم حافلٌ بالدلالات الإيجابية رغم ما كان يعانيه الشاعر وأتمته من الحزن والألم والتشرد ولكن الشاعر يأمل بالنصر والسعادة لشعبه، فاستعان باللون الأبيض ١٠ مرات تعبيراً عن السلام والأمل والحرية نحو:

رحمأك يا جيشَ الحَبَائِبِ قَدْ رَفَعْنَا
لَمْ تَنْظُرِ الْعَيْنَانِ جُنْدًا مِثْلَ جُنْدِ
أَوَاهِ لَوْلِي مِثْلَ جَيْشِكَ كُنْتُ أَفْ
سْتُ الرَايَةَ الْبَيْضَا وَجَيْشَكَ تَائِبًا
دِيكَ مَنْ رَأَى جُنْدًا مَهْمًا وَكَوَاعِبًا
سَتَحَّ الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا

(محمود، ١٩٨٨: ١٥١)

عبدالرحيم محمود في هذه الأبيات يقوم بمدح الجيش الذي يكن في قلبه محبة لا توصف، ومع القدرة التي يميز بها فلقد نشر السلام والأمان في البلاد ثم هو فريد من نوعه في الكون الذي لا يرحم فيه الناس بعضهم بعضاً فلماذا الأمر أصبح جديراً بالمدح والثناء، والشاعر يتمنى لو كان له جيش كهذا الجيش لفتح العالم من المشرق والمغرب بسبب القدرة الخارقة التي يتصف بها. اللون الأبيض في هذه الأبيات انحصر في عبارة "الراية البيضاء"، وفي هذا السياق جاء هذا اللون رمزاً للسلام لأنه علامة التسليم، ومشاركة الحرب، وإحلال الصداقة وحسن التفاهم بدلاً منه، وهذا الجيش مع إمساكه لهذه الراية ينشر السلام بين البلدان المختلفة.

وفي الأبيات التالية ربط الشاعر ذكر اللون الأبيض بالسماحة والفضل:

عَدَرَ الْحَلِيفُ وَأَيَّ وَعَدِ صَانَهُ
لَمَّا قَصَصَى وَطَرًا بِفَضْلِ سُيُوفِنَا
وَإِذَا الدَّمُ الْمُهْرَاقُ لَا بِمُرَاقِهِ
يَوْمًا وَأَيَّةَ ذِمَّةٍ لَمْ يَخْفُرْ
نَسَى الْيَدَ الْبَيْضَا وَلَمْ يَتَذَكَّرْ
جَدْوَى وَلَا يَنْجِيْعِهِ الْمُنْحَرِدِ

(نفس المصدر، ٤٧)

الشاعر يصف جوداً من الغدر والخيانة التي لاقاها شعبه من جانب حليفهم الذي لم يحفظ عهده للعرب ولم يوفهم جميلهم، والشاعر يحزن على الأبطال الذين ماتوا في ساحة المعارك وضاع دمهم هدراً دون جدوى من أجل هذا الحليف الماكر الذي نكر فضلهم ومواقفهم تجاهه، فما أن تمكن حتى تناسى اليد البيضاء التي كانت تغمرهم بالنعمة والفضيلة، ولا يخفى أن هذه اليد المنعوتة بالبياض توحى بالسماحة والفضل والجود. في هذا السياق استخدم الشاعر اللون بشكل صريح ومباشر، و"اليد البيضاء" هي «اليد التي لا تمنّ وتعطي عن غير سؤال وذلك لشرفها في أنواع الحجاج والعتاء» (ابن منظور، مادة بيض) وهنا يظهر الجود والسماحة في إهداء الروح من أجل الحليف الذي لا يقدر هذا الأمر ولا يبطل الغدرة والخيانة بل يواصل عمله الشنيع. وقد استعان الشاعر في الأبيات التالية "اللفظ الأبيض" بمعنى الجود والكرم في سياق إيجابي:

وَلَنَا الْيَأْدِي الْبَيْضُ لَا يُنْ
سَى الْيَأْدِي غَيْرُ جَا حِدِ

وَالشَّيْءُ إِن كُنَّا الْأَسَا سِ بِهٖ، وَإِلَّا فَهَوَ قَاسِد
وَلَطَّقَى التَّضَالِ إِذَا بَعَدْنَا عَنُّهُ أَصْبَحَ جَدُّ حَامِد
وَبِنَا إِذَا تَدَهَى الشَّدَا نُدْ كَانَ تَفْرِيحَ الشَّدَانِد

(محمود، ١٩٨٨: ٧٨)

عبدالرحيم هنا يفخر بشعبه ونفسه، فيعدّ خصائلهم الحسنة: كالكرم والشجاعة والفراسة في الأمور. وهو وظف اللون الأبيض لبيان إحدى خصائلهم وهي الجود والكرم حيث يتّصف بهما الانسان العربي. هذه الأيادي البيض هي التي تمسح الدموع من عيون البؤساء وتهب السعادة للفلسطينيين عندما آذاهم أعدائهم المحتلون والمستعمرون. اللون الأبيض عند عبدالرحيم يرمز إلي رموز السلام والجود والسماحة. فقد جاءت الدلالات في نتاج الشاعر واضحة جليّة وكلاهما يرتبطان بالمقاومة والتطلّع نحو مستقبلٍ زاهر برويةٍ إيجابية وكاشفة لأنّ من أهمّ ميزات هذا اللون «الطهارة والنور والغبطة والفرح والنصر والسلام» (همام، ١٩٣٠م: ٧).

ب. الدلالة غير المباشرة:

اهتمّ العرب قديماً بتميز الأبيض بالألوان خاصة، تحدّد صفاته ودرجاته، فقد ربّ الثعاليبي درجات الأبيض على النحو التالي: «أبيض، ثم يقق، ثم لهق، ثم واضح، ثم ناصع، ثم هجان، وخالص» (الثعاليبي، ٢٠٠١م: ١١٢). وفي العصور القديمة كان اللون الأبيض مقدساً ومقصوراً على آلهة الرومان، وكان يضحي له بحيوانات بيضاء، وعند المسيحيين عادة ما يرمز للمسيح بثوب أبيض دليلاً على الصفاء والنقاء والخلو من الدنس، وفي مصر القديمة كان الفرعون يرتدي تاجاً أبيض ليرمز لسيطرته على مصر العليا مما يشير إلى أنّها كانت تعيش بسلام وطمأنينة (عمر، ١٩٨٢م: ١٦٣). ولا يخفى أنّ اللون الأبيض في الشعر العربي «يُعدّ من الألوان التي كثر حضوره، ويقترن كثيراً ما بجمال المرأة وجلال الرجل ورهافة السيوف والدروع في الشعر الجاهلي» (متقى زاده واحمدى، ٢٠١٤: ١٣٥).

ينعكس هذا اللون في شعر شاعر المقاومة عبدالرحيم بشكل غير مباشر في كلمات كـ "النور والفجر والكوكب والأقحوان والقمر"، وقد استُخدم هذا اللون ٣٦ مرة ويحتلّ المرتبة الأولى في ديوان الشاعر. الكلمة التي استعملها الشاعر بديلاً عن اللون المباشر بكثافة هي كلمة "النور" التي تُعرّف في المعاجم اللغوية بـ"ضدها أيّ الظلمة". نرى في الأبيات التالية دورها في اللون غير المباشر:

فِيَا قَوْمَ عُدُوِّا إِلَيْهِ يَعْذُ إِلَيْنَا الْفَخَاؤُ وَمَجْدَ الْقَمَمِ
كَتَابٌ مُنِيرٌ فَمِنْ نُورِهِ أَنْيَرُوا غَيَاهِبَ هَذَا الظُّلَمِ
وَدَاؤُوا بِمَا فِيهِ أَسْقَامُكُمْ ففِيهِ دَوَاءٌ يَزِيلُ الشُّقَمِ
كَلَامُ الْعَظِيمِ الْكَلَامِ فَعَزَّ الْعَظِيمِ وَعَزَّ الْكَلَمِ

(محمود، ١٩٨٨: ١١٩)

عبدالرحيم في بداية الأبيات يدعو شعبه حتى يرجعوا إلى أيام عزهم وما عاشوا من المجد الذي لا مثيل له، ويرى الوصول إلى العزة في التمسك بالقرآن الكريم والأخذ بنوره لكي يهتدوا ويطرحوا الظلام جانباً حتى يخيم النور والعزة والهداية على حياتهم بدلاً من هذه الظلمة والنكبة التي جاء بها الأعداء لهم.

يُعتبر اللون الأبيض في هذه الأبيات لون الهداية والعزة والكرامة في مواجهة الظلمة والسواد، وهذا البياض ساطع من كلمة النور التي تُوحى بشكل غير مباشر بالبياض؛ الشاعر وقد اتخذ القرآن الكريم وسيلة لإزالة السواد وإحلال البياض مكانه. أمّا الكلمة الثانية التي جاء بها عبدالرحيم دلالة على اللون غير المباشر فهي كلمة "الفجر":

إِنَّ أَيَّامَنَا ابْتِسَامَةٌ تُعْغِرُ لَمْ يَدُرْ مِثْلَهَا الدُّهُورُ
نَشَرَتْ مِيتَ الْأَمَانِي وَأَحْيَتْ أَمَّالاً عَارِماً بِقَلْبِ كَسِيرِ
ذَلِكَ أَنَّ الظُّلُومَ يَكْرَهُ فَجْرَ الْح قُ كَيْلَا يَزُولَ لَيْلَ الفُجُورِ

(نفس المصدر، ٤١)

فرغم أن الابتسامة والأمل يغمر الدهر، والفرح والسرور يملأ الكون إلا أن الظلوم يخاف من الفجر لأنه مع مجيء الفجر ينتهي الظلم وتزيح ستائر الليل الخانق. والفجر يلعب هنا دور اللون الأبيض، وعند طلوع أضواء الحق وإحلال النهار مكان الليل لا يخفى شيء وينتهي الظلم، وينفضح الظالم أمام الشعب مع انتهاء الليل ومجيء النهار. هذا هو اللون الأبيض بدلالاته وإيحاءاته التي استخدمها الشاعر بشكل مباشر وغير مباشر، فالأبيض يوحي بمعان كالسلام والأمان والهداية، وقد أصبح لوناً محبباً للشاعر فركز على دلالاته الإيجابية في ديوانه ولم نشاهد له دلالة سلبية.

٢-١-٢. اللون الأسود

أ. الدلالة المباشرة

إنّ اللون الأسود أعمق الألوان. وجاء هذا اللون في كتاب "لسان العرب" بمعنى: «سود: السواد: تقيض البياض؛ سود وساد واسودّ واسوداداً. ويقال للأعداء: سود الأكباد» (ابن منظور، مادة سود)، واقتصرت الدلالة النفسية للون الأسود في قاموس لسان العرب على العداوة والبغضاء. وهو من أقدم الألوان الموجودة عند البشر. يقول أحمد مختار في هذا الصدد: «وقد جاء اللون الأسود في المرتبة الأولى في قائمة الألوان عند علماء الأنثروبولوجيا، ويرى كثير من علماء الألوان أنّ الأسود مع الأبيض هما أول لونين وضعت لهما ألفاظ لونية في معظم لغات العالم» (عمر، ١٩٨٢: ٢٧) وهذا الكلام يدلّ على هيمنة هذا اللون على حياة البشر.

استخدام عبدالرحيم اللون الأسود ٨ مرّات في شعره لما يحمله من دلالات متعدّدة ترتبط بحياته الحربية وما مرّ به من حزن وفراق وألم، فهذا اللون في شعره المقاوم يرمز إلى الظروف الصعبة والحوادث السلبية التي مرّ بها الشعب الفلسطيني وما أحاطت به من حوادث محزنة وموت أحبة وظلم وكبت واضطهاد. ولهذا استخدم اللون الأسود في شعره حتى يعبر عن مدى حزنه في الأبيات التالية:

خَمُدَتْ نَارٌ لَقَدْ أَضْرَمْتَهَا لِعِدِيٍّ كَانُوا لَهَا بَعْضَ الوُقُودِ
وَالْحَمَى قَدْ رِيحَ يَا دُخْرَ الْحَمَى وَغَدَاً بَعْدَكَ مُنْقُوصَ الحُدُودِ

لَمْ أَكُنْ قَبْلَكَ أَذْرَى مَا الَّذِي يُرْخِصُ الدَّمْعَ وَيُودِي بِالْكُبُودِ
إِنْ يَوْمًا قَدْ رَزَنْتَاكَ بِهِ جَاعِلٌ أَيَّامَنَا سُودًا بِسُودِ

(محمود، ١٩٩٨: ٣٩)

فالسباق الذي جاء فيه اللون الأسود دالّ على حالة من الحزن الذي لا يكتنف الشاعر وحده بل الشعب بأكمله. في بداية هذه الأبيات قام برثاء الشهيد وما قام به من الأعمال البطولية وجعل من الأعداء وقوداً للحرب لكثرة هلاكهم على أيدي الشهيد. فبعد الرحيم بعد مدح بسالة الشهيد يستذكر موته وما أحاط به من الحزن والبكاء، فعندما كان هذا البطل حياً لم يعرف معنى الكآبة والحزن. عبدالرحيم للتعبير عن الحزن استعان بلفظ الأسود لأنّ هذا اللون يدلّ على «الحزن والتشاؤم، فقد كان العرب يتشاءمون حتى من مجرد النطق بهذا اللون وأحد مشتقاته» (عمر، ١٩٨٢م: ٢٠١). ويظهر من خلال هذا السياق أنّ الحداد قد سيطر على الشاعر والشعب معاً؛ ولبيان شدّته كرّر كلمة الأسود حتى يظهر أسفه على ما خسروه. وحضور ضمير "نا" في "أيامنا" يوحي بمشاركة الشعب في هذا الحزن.

الدلالة الثانية للون الأسود هي الضلال والتيه حيث رسم الشاعر حياة ما قبل الإسلام بهذا اللون، فقد كان يغشيها الظلام والضلال والناس كانوا يجولون الطرق الصحيحة للعيش:

جَاءَ طَهَ وَاللَّيَالِي حُلُكُ فَبَدَا فِي مُبْسِمِ الدُّنْيَا ابْتِسَامَا
وَدَّ مَاضٍ فَرَّ لَوْ يُشْهَدُهُ وَالغَدُ الوَامِقُ لَوْ كَرَّ أَمَامَا
سَوْدَ العُرْفِ، وَأَعْلَى رَحْمَةٍ وَأَقَالَ مِنْ كَبُو فَقَامَا

(محمود، ١٩٨٨: ١٢٠)

فالأسلوب الذي جاء فيه اللون الأسود يدلّ على حالة التيه التي تمثّل بدورها حالة الموت التي كانت مسيطرة على حياة الفلسطينيين قبل النبي (ص)، بل العرب بأكملهم، ولذا جاء تأثير اللون الأسود واضحاً، ومهيمناً على مفردات المقطع الشعري، وذلك بتوظيف المفردات الدالّة على السواد وهي ما يمكن أن نسميها المفردات اللونية كـ "الحلك والليالي"، وهذه المفردات تشير إلى صورة معبّرة عن الضلال. ولكن هذا السواد انزاح عند مجيء النبي محمد (ص) واحتلّ مكانه الغد الذي هو مصدر الأمل للعرب. عبدالرحيم يأتي إلى الحاضر في تكملة كلامه وينوح على وطنه ويتحدّى الظلم الذي يخيم على وطنه:

كَشَّرِي مَا شِئْتِ يَا سُودَ اللَّيَالِي فَابُو الطَّيْبِ لَا يَخْشَى العَوَالِي
إِنْ تَقَاعَسْتُ عَنِ الحَرْبِ فَإِنِّي مُجْرِمٌ يَقْعُدُ عَن شَأْوِ المَعَالِي
غَايَتِي الْقِي المَمَنَّا يَا عَاجِلًا فِي مَجَالِ العِلْمِ أَوْ سَاحِ النَّضَالِ

(نفس المصدر، ٥٣)

في هذه الأبيات نرى الاعتداد بالنفس والعزة والكرامة والتحدّي، حيث يطلب الشاعر من الدهر أن يكسّر ويبطش به فهو (أي الشاعر) لا يخشى من شيء، وهو مستعد للحرب والمواجهة والتصدي للظلم، فلا يرى فائدة من وجوده إذا تقاعس وتخاذل عن التصدي للظلم. ويرى محاربة الأعداء ضمن طريقتين: الأولى العلم والثاني: الحضور في ساحات النضال. فالشاعر عن طريق استخدامه اللون الأسود أراد أن يبيّن بأنّ الظلم مهما استفحل فهو سيقهره ومع استعانتها بهذا اللون بدلاً عن كلمة "الظلم" أراد إظهار شدّة ظلم العدو وخباثته؛ أمّا شجاعة المواطن الفلسطيني المتجسّدة في الشاعر فتفوق وحشية الأعداء ولهذا يطلب محاربة المحتلّين وسحقهم، وللوصول إلى الانتصار يرى ثلاثة طرق: «١-

اتحاد الشعب الفلسطيني والأمة العربية. ٢- جهاد عام يشمل كل الأمة العربية. ٣- التضحية بالغالي والنفيس في هذا السبيل». (ايرواني زاده، ١٤٣٤: ٢١)

يدلّ اللون الأسود المباشر عند الشاعر على الظلم والقمع الذي يجده في وطنه فيأخذ أحياناً طابع الحزن والكآبة، واللون الأسود في شعر عبدالرحيم أصبح رمزاً موحياً معبراً عما يجري في ذهن الشاعر عن المعاني والافكار.

ب. الدلالة غير المباشرة

إنّ اللون الأسود في حقل اللون غير المباشر يظهر ٣٢ مرة في ديوان عبدالرحيم، وهذا اللون يبرز في الأشياء التي تحيط بالشاعر، مثل: الليل الحالك والكدر، والسخام، والظلام، والدجى. والكلمة التي استخدمها الشاعر بكثافة نيابة عن اللون الأسود فهي "الليل" وقد تكررت ١٥ مرة. إنّ العيش في المجتمعات الاستبدادية مثل فلسطين جعل الشعراء المعاصرين أن يروا الليل كابوساً دائماً على الظلم، والتشاؤم، والموت. لقد شكّل الليل جانباً هاماً في شعر عبدالرحيم محمود، فقد عايش الشاعر هذه الظاهرة من الطبيعة وحاول أن يكشف أسرارها وأهوالها وما تحمله من جوانب سلبية. فالليل في تجربته الشعرية أصبح رمزاً للظلم والحزن، وهذا الأمر يرجع إلى اللون الأسود المتفوق على الليل. ولهذا الأمر نرى الشاعر يستعمل هذه الكلمة دلالة للون الأسود والحزن:

أَيْهَا الْعُرْبُ وَأَنْتُمْ أُمَّةٌ	لَمْ تَنْمَ يَوْمًا عَلَى سَوْمِ الْأَذَاةِ
قَدْ تَصَبَّرْتُمْ طَوِيلًا فَأَغْضَبُوا	وَتَأَنَيْتُمْ كَفَى لَاتِ أَنْوَاةِ
فَأَنْتُمْ بِالْحَلْمِ بَعْضَ الْمُتَبَغَى	فَتَلَأَفُوا بَعْضَهُ قَبْلَ الْفَوَاتِ
مَنْ دَجَا بِالظُّلْمِ لَيْلُهُ	فَلَيْتِيَرُهُ بِالْحَرَابِ
مَنْ شَكَا قَيْدًا فَحَلَّهُ	عِنْدَ أَظْرَافِ الْعَضَابِ

(محمود، ١٩٨٨: ٥١)

يرسم عبدالرحيم في هذه الأبيات، الحياة التي يعيشها العرب من الصبر والتقهقر والجلوس وهذا لا يعجبه، ويطلب منهم النهوض أمام الأعداء قبل فوات الأوان وقيل أن يفلت حبل الأمور من أيديهم، فلا يستطيعون أن يستردوا ما فقدوه. فالشاعر يظهر إحساسه الذي يملئ وجوده عن طريق الكلمات التي استخدمها مثل: "دجا والظلم والليل" وكلّ هذه الكلمات تمثل اللون الأسود وتدلّ على سيطرة النكبة والمأساة على حياة الشعب وهذه الأحوال كالليل مخيمة على بلدهم لأنّ الليل «عرف بثقله على النفس وشدة وطأته فهو من تلك الأوقات التي تختصّ بالمكاره» (عبد القادر أبو عون، ٢٠٠٣: ١٩٢) ولكن الشاعر بعد طرحه قضية الليل والحزن يرى الحلّ الوحيد للخلاص من هذا السواد المخيم هو محاربة الأعداء. الكلمة الثانية التي استخدمها عبدالرحيم للدلالة على اللون الأسود فهي "السخام":

ظَلْنَا نَقُولُ: غَدًا غَدًا هَلْ حَقَّقَتْ	لِللَّائِبِينَ عَلَى غَدٍ أَحْلَامَ
ظَلْنَا نَقُولُ: غَدًا يَفِيئُ صَمِيرَ مَنْ	فَقَدَ الصَّمِيرَ وَيَعْدُلُ الظَّلَامَ
ظَلْنَا نَقُولُ: مَفَاوِضَاتُ مَا الَّذِي	نَلْنَاهُ إِلَّا كَسْفَةً وَسُخَامَ
ظَلْنَا نُدَاعِبُهُمْ وَهُمْ حُكَّامُنَا	وَيَحَقِّقُونَ وَهُمْ هُمْ الْأَخْصَامُ

(محمود، ١٩٨٨: ٣٦)

تخيّم على هذه الأبيات نوع من خيبة الأمل واليأس، هذه الخيبة التي أصابت الشاعر وشعبه؛ والسبب الرئيسي في هذه الخيبة هو الحكّام، فالشاعر يلوم نفسه وشعبه لأنّهم أخذوا التسويف والجلوس نصب أعينهم واعتمدوا على أشخاص ليسوا جديرين بالثقة فيرى كلّ المفاوضات مع الأعداء لا تجدي نفعاً سوى النكد وهذه الأمور السلبية جعلت الشاعر يستخدم السخام نيابة عن اللون الأسود لكي يظهر ظروفهم الصعبة، وكذلك الألم من اليأس وعدم كفاءة الحكّام الذي واجههم. والكلمة التي عاضدت "السخام" ودلالاتها هي "الظلام" في البيت السابق، فلا يخفى أنّ هذه المفردة توحى أيضاً بالظلم والكبت والحرمان.

إنّ الكلمات التي استخدمها الشاعر بدلاً من اللون الأسود كحقل للون المباشر كلّها تدلّ على الحزن والألم والمصاعب التي طرأت على حياة الشاعر. يعتقد عبدالرحيم كثرة الأحزان في هذا المجتمع جاءت نتيجة تخاذل الشعب وجلوسهم، فلا مفرّ من هذه الحالة إلّا بعد مواجهة الأعداء والحكّام.

٣-١-٢. اللون الأحمر

أ. الدلالة المباشرة

يُعدّ اللون الأحمر «من الألوان الساخنة المستمدّة من وهج الشمس واشتعال النار والحرارة الشديدة وهو من أطول الموجات الضوئية» (عمر، ١٩٨٢م: ١١١) وهو الذي يلقي ستائر مختلف الأحاسيس والشعور كـ"الحزن والفرح، واليأس والأمل" على البشر. اللون الأحمر يدلّ منذ القدم على الدم «وما يعني من الصراع والقتل والموت والثورة والحرب وغير ذلك» (الزواهرة، لاتا: ٤٣) ولكن علاقة هذا اللون مع الدم يوحي بجوانب ايجابية وسلبية، فالإيجابية هي الحياة والسلبية هي الموت.

وهذا اللون عند الشعراء له دلالات ايجابية كوصف الخدّ، وله دلالات سلبية كوصف الدم والمعارك، وفي أدب المقاومة يدلّ على الحرب والثورة والتصدي للعدو الغاشم. واللون الأحمر عند الشاعر الثوري عبدالرحيم يظهر في وصف الدم والشهادة لأنّه في شبابه رأى الحرب وأهوالها، فتعايش مع ويلاتها في خضم حياته اليومية، ورأى بأمّ عينيه الكوارث التي تخلّل حياة شعبه ولا غرو أن تنقطع شاعريته بوصف المعارك والدعوة إلى الحرب، وهذا اللون جاء في ديوانه ٥ مرّات حتّى يدعو عبره إلى الحرب ثمّ الشهادة في طريق تحرير الوطن:

أُتْقِيْمُونَ عَلَيَّ حَمَلِ الْأَدَى أَيُّهَا الْعُرْبُ وَإِعَادِ الْجُنَاةِ
دُونَكُمْ فَانْتَقِمُوا إِنَّ الدَّمَ تُطْفِئُ الْغُلَّ وَتُدْنِي الرَّغَبَاتِ
الدَّمُ الْأَحْمَرُ أَشْفَى بَلَسَمِ عِنْدَ الْمُؤَلِّمِ
الدَّمَ تَجْرِفُ جَرْفًا صَاحِبِ الظُّلْمِ وَظُلْمِهِ

(محمود، ١٩٨٨: ٥١)

استخدم عبدالرحيم اللون الأحمر في هذه الابيات اللون الأحمر صفة للدم كي يدلّ على أنّ الثورة والحرب والشهادة أحسن بلسم للجرح ولكي يظهر تأثير دلالة هذا اللون في البيت الأوّل قام بمناداة العرب وأراد أن يحرك نخوتهم حتّى يدخلوا المعارك ولا يرضوا بظروفهم الراهنة لأنّ هذه الظروف لا تليق بهم وتسرّ الأعداء.

عبدالرحيم محمود جعل اللون الأحمر رمزاً للثورة والحماسة فيرى الموت والشهادة سبيلاً للتحرّر والثورة، فلهذا يُعتبر الدم "الأحمر" وسيلة «للتخلّص من الذلّ، وهو سبيل الانتصار والكرامة المنشودة» (الزواهرة، لا تا: ٤٣)، وللوصول إلى الحياة الكريمة بعيداً عن الدنيا يجب عليهم التضحية بأعلى ما لديهم وهو الروح لأنّها لا تطلع إلا بعد إنزاف الدم الأحمر. وقد استعان عبدالرحيم باللون الأحمر ليدلّ على الدم في الأبيات التالية:

نَحْنُ الْمَصَادِرُ وَالْمَوَارِدُ وَسَالِحُنَا قُتِلُ السَّوَاعِدِ
هَامَاتُنَا لِلْمَجْدِ، يَرْسُو حِينَ نُبْدِعُهُ قَوَاعِدِ
وَقُلُوبُنَا تَبْعُ الْمَكَارِمِ لَيْسَ يَنْضُبُ وَالْمَحَامِدِ
وَدَمَاؤُنَا الْحَمْرَاءُ لِلْحُرِّ يَّةَ الْعُلْيَا رَوَافِدِ

(محمود، ١٩٨٨: ٦٦)

لقد ارتبط اللون الأحمر في هذه الأبيات الشعرية بالشهادة، وما يأتي إثرها من المجد والعلو، فعبدالرحيم يفخر بقومه ونفسه معاً، وينسب بعض الخصال الحميدة إلى أنفسهم كالقدرة والشجاعة والمجد والكرامة والبسالة في اتخاذ درب الشهادة بدلاً من حياة الذلّ. وإنّ الشاعر وظّف اللون الأحمر مع ألفاظ كـ"الحرية والعليا" ليدلّ على أنّ الشهادة مقترنة بالمجد والعلو.

إنّ اللون الأحمر عند عبدالرحيم محمود يمثل النفس الثورية والمتحمّسة، وحبّها لحياة مليئة بالحرية والمجد وإطراح الحاضر جانباً «فهذا التوظيف للون الأحمر جاء منسجماً مع طبيعة الحياة التي عاشها الإنسان العربي المليئة بالصراع، وكثرة الحروب الدموية التي خاضها» (الزواهرة ومحمد الزيود، ٢٠١٤: ٥٩٣) والويلات التي رآها عبدالرحيم في وطنه والتطوّعات والتبرعات التي قدّمها أبناء وطنه حتّى يفوزوا بدرجة الشهادة، فكلّ هذه الأمور أثّرت عليه واستخدم اللون الأحمر في وصف الدم رمزاً للشهادة.

ب. الدلالة غير المباشرة

إنّ اللون الأحمر يلعب دوراً ريّاداً في أدب المقاومة حتّى يظهر القتال والحرب والدمار والجراح. ونرى هذا اللون في حقل اللون غير المباشر في ديوان عبدالرحيم يرد ٢٩ مرّة ويتجلّى في ألفاظ مثل: "الدم والنار والورد والخمر". ولكن الكلمة التي استخدمت كثيراً نيابة عن اللون الأحمر هي كلمة "النار"، ولكثرة حرقتها ولهيبها ولونها الأحمر تلقى معاني الحزن، حيث يقول الشاعر في هذا الشأن ويندب الشهيد:

وَاحْيَيْبِ الْأَمْتَا قَدْ أَصْبَحَ الْعِي شُ مِنْ بَعْدِكَ لِي جَدَّ نَكِيدِ
جَمَدَ الدَّمْعِ بَعَيْنِي جَزَعَاً يَا لِنَارِ الْقَلْبِ مِنْ دَمْعِي الْجُمُودِ
فَأَذَابَتِ الرُّوحَ أَبْكِيكَ بِهَا بَدَلِ الدَّمْعِ فَسَالَتْ فِي تَشْيِيدِي

(محمود، ١٩٨٨: ٤٠)

فالشاعر ينادي الشهيد ويجعله حبيب أُمَّته وقد أصبحت الحياة من بعده مليئة بالنكد والمعاناة فلماذا يستعين بالنار للتعبير عن حزنه من أجل فقدان الشهيد ، وهكذا أخذ يكشف عن همومه ففي قلبه نارٌ مشتعلةٌ، وقد استعملها ليصف بها القلب لشدة حرقته ولهيبها ووهجها. وهذه الكلمة وظفها الشاعر توظيفاً جمالياً لتجسيد تلك المعاني والأحزان التي رآها من بعد رحيل الشهيد؛ فجاء هذا اللون غير المباشر أكثر ملامسةً لذهن المتلقي لأنَّ الشاعر شبّه حزنه بالنار. أمّا الكلمة الثانية التي يتجسّم فيها اللون الأحمر فهي كلمة "الدم":

بَذَرَتِ الشَّرَفِ فِي الدُّنْيَا فَدُوْقِي ثَمَارَ الشَّرِّ إِذْ بَلَغَتْ حَصَادَا
دَمٌ أَهْرَقْتُهُ أَوْ قَى أَيَّاماً وَلَكِنْ تَجِدُ المَلَادَ وَلَا المَحَادَا
وَأَيَّاتٍ حَرَقْتِ مُمَرَّدَاتٍ سَنَدُّزُوهَا بِعَيْنَيْكَ رَمَادَا

(نفس المصدر، ٦٦)

يخاطب عبدالرحيم في هذه الأبيات باريس وما زرعت من ظلم وقمع في هذه الدنيا، ويعددها الشاعر ستحصداً ما جنت وما ارتكبت من جرائم وسيرجع لها نتائج أعمالها الشنيعة والوضيعة التي فعلتها في حقّ المظلومين فقريباً ستدفع ثمن هذا الطغيان. إنّ الدم الأحمر الذي أهرقته سيُنْتَقَمُ منها ولا مفرّ من هذه الورطة التي رسمتها باريس لنفسها. وهنا الدم يمثّل اللون الأحمر، ويدلّ على القتل والدمار والجراح التي جنتها باريس في الدول المظلومة. إنّ اللون الأحمر في حقل اللون غير المباشر يوحي بالجراح والدمار والحرب.

٤-١-٢. اللون الأخضر ودلالاته غير المباشرة

إنّ اللون الأخضر يلقي معاني النمو والطبيعة والحركة على المخاطب و«يهدئ النفس ويسرّها، وهو تعبير عن الحياة والخصب والنماء والأمل والسلام والأمان والتفائل، وهو لون الربيع والطبيعة الحية والحدائق والأشجار والأغصان والبراعم» (آباد وبلاوى، ٢٠١٢: ١٣)، كما يعتبر رمزاً للجنة لأنّها تتّصف باللون الأخضر.

فرغم أنّ هذا اللون لم يذكر مباشرة عند عبدالرحيم لكنّه استعان بهذا اللون بشكل غير مباشر، وقد تجلّى في كلمات مثل: "الشجرة والنبات والخصب". تتكرّر ٢٠ مرّة ليدلّ على شيئين: الأول: الطبيعة الخضراء التي تمثّلها الغابات في بلاده والثاني: الأمل والأمان.

الغربة التي عاشها عبدالرحيم ضغطت عليه كثيراً وألجأته للكتابة ووصف طبيعة وطنه، ففي الغربة يشقّاق إلى بلده الحبيب ولم يطق صبراً على فراقه، فیتغنى بجمال وطنه:

فَيَصَلِّي القَلْبُ فِي كَعْبِيَّتِهِ وَتَضُمُّ الرُّوحُ قَدْسِي الحَجَرِ
وَتَمْرِينَ يَبْمَاكَ عَلَيَّ جَسَدِ أَصْنَاهُ فِي البُعْدِ السَّهْرِ
وَيَغْنِي الطَّيْرُ فِي أَشْجَارِهِ نَعْمًا يُرْقِصُ أَغْطَافَ الشَّجَرِ
حَبْرٌ تَقْلُهُ رِيحُ الصَّبَا وَيُذِيعُ الزَّهْرُ أَنْغَامَ الخَبْرِ

(محمود، ١٩٨٨: ٥٥)

لم يصرح الشاعر في هذه الأبيات باللون الأخضر بشكل مباشر بل لمح إليه عناصر تتصف بالخضرة كالأشجار والشجر في البيت الثالث، وقد قرن الشاعر هذين اللفظين مع عناصر طبيعية أخرى كالحجر والغناء والطير والنغم والرقص والريح، والصبا والزهر والأنغام وهي مفردات توحى بالحيوية والنشاط والحياة في وطنه، فهذه العناصر الموحية في فضاء الطبيعة تحفز الشاعر للعودة إلى أحضان بلاده بالرغم من أن طائرات الغاصبين تحلق في سماء هذا الوطن بدلاً من العصافير والطيور. وفي الأبيات التالية استخدم الشاعر كلمة "الخصبة" نيابة عن اللون الأخضر:

هَيْمَانٌ فِي وَطَنِي الْجَوِيلِ وَفِي مَقَاتِرِهِ الْعَجِيْبِهِ
وَطَنٌ فَدَيْتُ شَعَابَهُ وَفَدَيْتُ فِي رُوحِي شُعُوبَهُ
وَرَقِيْتُ مِنْ عَيْنِ الْحَسُودِ جَنَاحَهُ الرِّيَا الْخَصِيْبِهِ

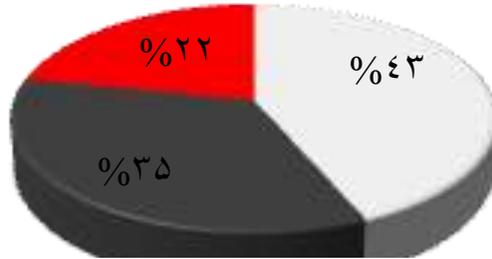
(نفس المصدر، ٧١)

وصف عبد الرحيم طبيعة وطنه ومفاتها بلفظة "العجيبة" لشدة تعلقه بها والهيام فيها، وقد ظهرت صورة هذه الطبيعة خضراء بواسطة كلمة "الخصبية" في البيت الأخير فهي مشحونة بدلالات الأمل والتفاؤل في قلب الشاعر، تزيج ستائر اليأس جانباً حتى يعم الخير والأمل أرجاء الوطن الحبيب بالرغم من محاربة الأعداء وتضحية شباب البلد في سبيل الوطن. يظهر اللون الأخضر في هذا السياق بشكل غير مباشر حتى يطرح كل هذه المعاناة جانباً ويوحى بالأمل والخير والتفاؤل. لقد تعلق عبد الرحيم بفلسطين كثيراً حيث كرس لها حياته فأخذ يحارب الأعداء في سبيلها، وجعلها خضراء في أشعاره، كأنها رمز للحياة والخير، كونها تشكل ملاذاً آمناً في مواجهة ما يكابد وما يعاني من الحاضر، فهي خضراء تحمل الأمل بدلاً من الألم في شعر عبد الرحيم محمود.

٣- إحصائيات اللون المباشر

إننا قد قمنا بعملية الإحصاء "للون المباشر" في أشعار عبد الرحيم محمود وبعد دراستنا لكمية هذا الحقل تبين لنا بأنه استخدم اللون الأبيض أكثر من سائر الألوان في الجدول التالي:

اللون المباشر	نسبة التكرار	النسبة المئوية	الصفحات
اللون الأبيض	١٠	٤٣ %	٤٧،٧١،٧٨،٩٢،١١٨،١٥٢
اللون الأسود	٨	٣٤ %	٥٣،٦٦،١٢٠،١٥٢،١٢٦،١٢٧،٣٩
اللون الأحمر	٥	٢١ %	٥١،٧٨،٩٠
المجموع	٢٣	١٠٠ %	٢٣

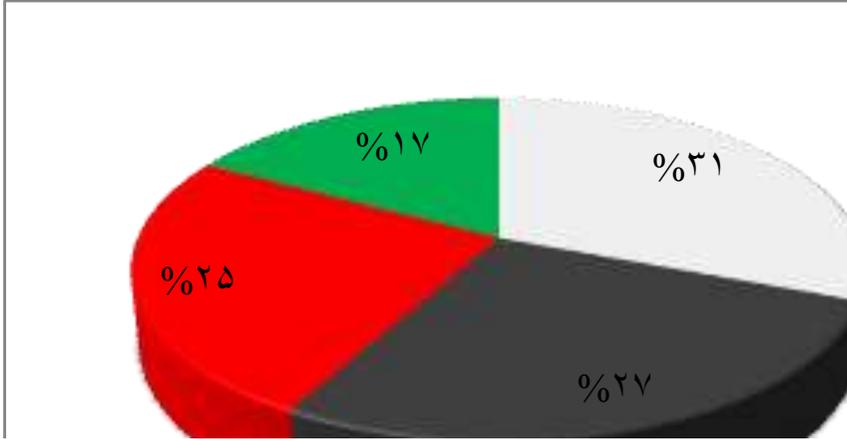


يحتلّ اللون الأبيض المرتبة الأولى في هذين الرسمين فقد أخذ نسبة ٤٣% وكلّ مرّة يتّخذ هذا اللون معان إيجابيّة ويتعد عن الدلالات السلبية، وهذه النسبة العالية من استخدام اللون الأبيض يجعل القارئ متطلّعاً نحو المستقبل؛ وأبرز ما رمز إليه عبد الرحيم في استخدام اللون الأبيض هو السلام والوجود والكرم وكذلك الأمل وسيطرته على حياة الشعب ورجوع الأمان إلى البلد، ثمّ استعان باللون الأسود حتّى يظهر خيبة الأمل بصبغة الحزن التي خيّمّت على أحاسيسه إثر الحوادث المرّة التي ذاقها ومع ذلك يحفّز المخاطب على الشهادة ومحاربة الأعداء حتى يتمكّن من اعادة مجده وكرامته. يغطي هذا اللون شعره بنسبة ٣٥% واللون الأحمر مع وجود الكميّة القليلة وهو ٢٢% لكنّه يؤدّي دور الشهادة.

٤- إحصائيّة اللون غير المباشر

قمنا بإحصاء عدد تواتر اللون غير المباشر في ديوان الشاعر الشهيد عبدالرحيم، وقد توصلنا إلى هذه النتيجة أنّ الشاعر أتى باللون غير المباشر لتكملة غاية اللون المباشر، كذلك يظهر للمخاطب هيمنة اللون الأبيض في ديوانه الشعري. وفي الجدول التالي نبيّن نسبة تواتر هذه الألوان غير المباشرة:

اللون غير المباشر المباشر	نسبة التكرار	النسبة المئوية	الصفحات
اللون الأبيض	٣٦	٣٠ ٧٦%	٤١،٤٢،٤٤،٤٧،٤٩،٥٤،٥٥،٦٠،٦٦،٦٩،٧٥،٧٧،٩٣،١٠١،١٢١
اللون الأسود	٣٢	٢٧ ٣٥%	٤١،٤٢،٤٧،٥١،٥٣،٧٣،٧٧،٨١،٨٧،٩٩،١٠١،١٠٧،١٢١،١٢٣
اللون الأحمر	٢٩	٢٤ ٧٨%	٤٤،٤٧،٤٩،٥٠،٥٥،٥٧،٥٨،٦٣،٦٦،٦٩،٧٢،٧٧،٧٨،٨٣،٨٥،٨٦
اللون الأخضر	٢٠	١٧ ٥٢%	٤١،٤٤،٤٥،٥٠،٥١،٥٤،٥٥،٦٢،٦٨،٧١،٧٤،٨١،٨٨،٩٢،٩٦
المجموع	١١٧	١٠٠%	١١٧



الشاعر إضافة على أنه استخدم اللون الأبيض في حقل المباشر بعدد هائل بالنسبة إلى سائر الألوان، استعان هنا أيضاً بأشياء تحيط بنا وتوحي بالبياض بشكل غير مباشر كما تساعد في إلقاء معاني اللون المباشر كالسلام والهداية والأمان. وفي المرتبة الثانية يأتي اللون الأسود ثم الأحمر والأخضر. واللون الأخضر جاء فقط بشكل غير مباشر ولم نعر على لونه المباشر في نتاج هذا الشاعر.

٥- امتزاج الألوان

إنَّ الشعراء في بعض الأحيان يستخدمون أكثر من لون معاً حتى يظهر رموزاً متعددة في سياق واحد ف «دائماً ما كانت تحمل هذه الألوان التصادف في المعنى، فالبياض ضد السواد، والأخضر ضد الأصفر، والأصفر ضد الأحمر»، (غنام المطيري، ٢٠١٤: ٨٥) وعبدالرحيم مثل أتراه من الشعراء مزج بين الألوان لكي يبين التصادف في شعره وهكذا الدلالات المختلفة التي تتسم بها. وفي قصيدة "كبرياء الحب" نموذج من اختلاط الألوان في شعره حيث يظهر هذا الاختلاط في الأسود والأبيض:

إِسْمَعِي لَا تَذْكُرِي الْمَاضِي فَلَا رَجَعِ الْمَاضِي وَلَا الْبَارِحُ عَادَا
وَدَعِي لَا تَقْرِي فِي صَفْحَةٍ قَدْ جَعَلْنَا أبيضَ الْمَاضِي سَوَادَا

(محمود، ١٩٨٨: ١٥٢)

يُعدُّ اللونان الأسود والأبيض من أشهر المتضادين في عالم الألوان خاصة والأشياء عامة، ولهذا الأمر استعان الشاعر بهذين اللونين لكي يظهر سعادة الماضي وتعاسة الحاضر، وهو يستذكر بأن الماضي قد فات وانتهى ولا يرجع لأنهم بأيديهم بدّلوا الهناء بالنكبة، هنا يقصد باللون الأسود النكبة وتعاسة الحاضر، واللون الأبيض يهدف به السعادة وهناء الماضي. وفي ما يلي قام الشاعر بامتزاج اللون المباشر واللون غير المباشر:

كُتِبَ أَضَاءَ دِيَاغِي الظُّلْمِ وَدَلَّ الْأَنَامَ لِأَهْدَى أَمِّمِ
أَشَاعَ الْجَمَالَ بِقُبْحِ الْحَيَاةِ وَأَفْشَى الْحَيَاةَ بِبَالِي الرَّمِّمِ
وَسَلَّ السَّخَانِمَ مِنْ أَكْبُدِ غَلَاظٍ وَبَيَضٍ مِنْهَا السَّخَمِ
وَأَلْقَى السَّلَامَ عَلَى الْعَالَمِينَ فَذَاقُوا حَلَاوَةَ طَعْمِ السَّلَمِ

(نفس المصدر، ١١٨)

عبدالرحيم محمود في هذه الأبيات يقوم بمدح القرآن الكريم وفوائد التمسك بهذا الكتاب الهادي، وقد استعان هنا باللونين، اللون الأبيض واللون الأسود لبيان هذه الفوائد، والكلمتان اللتان تمثلان اللون الأبيض هي "أضاء وبيّض" وأما الكلمات التي تدلّ على اللون الأسود فهي "دياجي، الظلم، والسخم". في سياق مجيء القرآن نرى طباق اللونين: الأبيض والأسود في هذه الأبيات، فاللون الأسود يدلّ على الظلم والجفاء، واللون الأبيض يدلّ على السلام والصلح والجمال.

عبدالرحيم في هذا الحقل مزج الألوان ١٥ مرة وأراد بهذا الامتزاج أن يرمز إلى عدّة أشياء في أبيات قليلة. وأكثر الامتزاج جاء تضاداً بين اللونين الأبيض والأسود لكثرة حضور هذين اللونين في ديوانه، ودلالاتهما على الحرب والسلام، وعندما يتكلّم حول الماضي والحاضر فيطغى اللون الأسود على اللون الأبيض لأنّ الشعب ياهملهم وتخاذلهم جعلوا حاضرهم أسود ونسوا ماضيهم الأبيض ولكن عندما يأتي باسم القرآن الكريم والحرب فيجعل اللون الأبيض هو المنتصر وهو الذي ينشر في العالم.

٦- الخاتمة

النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث هي:

استطاع الشاعر أن يلوّن قصائده ليعبّر عن رؤيته التي يريد التعبير عنها، فقد جاء استخدامه للألوان متلائماً مع رؤيته الخاصّة للحياة والفكرة التي بصدد نقلها للمتلقّي، فاتخذ من هذه الألوان أداة للإفصاح عن مشاعره، أو تجسيد أفكاره. والشاعر لا يستخدم الألوان صدفة بل لها دلالات رمزيّة خاصّة تتجلى في الألفاظ المباشرة كالأسود والأبيض والأحمر، وفي الألفاظ غير المباشرة كالليل والفجر والدم على سبيل المثال. والغرض الذي جعل عبدالرحيم يميل إلى الألوان هو خروج شعر المقاومة من الخشونة ودخوله في عالم الطبيعة لكي يلائم طبع المخاطب الذي يرتاح للطبيعة ومظاهرها.

تختلف دلالات الألوان عند عبدالرحيم محمود؛ ولكن تشترك رموزها في حقل اللون المباشر واللون غير المباشر، فاللون الأبيض يدلّ على السلام والأمان، واللون الأسود أتى ليوح عن الحزن والحداد والظلم، واللون الأحمر يدلّ على الشهادة والثورة والحرب. وبما أن اللون الأخضر استُخدم في حقل اللون غير المباشر يدلّ على الخير والحياة. كما نرى في دراستنا جاء اللون غير المباشر تكملة للون المباشر، والشاعر الفلسطيني عبدالرحيم استعان باللون غير المباشر أكثر بالنسبة إلى اللون المباشر وهذا النوع من اللون احتلّ مرتبة عالية في الإحصاء فالأمر يدلّ على حضور الألوان بشكل محترف في شعره وكذلك الطبيعة كالنبض الذي ينبض في شعره دون أن يراه القارئ بأعينه ولكن يلمسه بالخفاء، فقد لوّن عبدالرحيم قصائده بألوان الطبيعة الفلسطينية التي تغنى بها في قصائده. نرى الشاعر يمزج بين الألوان في سياق واحد، لاسيما جاء هذا المزج بين الأبيض والأسود، لكنّ الشاعر في نهاية المطاف ينتصر للأبيض على الأسود؛ والشاعر عبر هذا الامتزاج أراد أن يكشف عن موضوعات مختلفة تختلج في ذاكرته، ولا يخفى على المتلقّي أنّ صراع هذه الألوان يوحي بالصراع بين البشر واشتعال الحرب. ومع كلّ ذلك يبقى اللون الأبيض هو اللون المفضّل عند الشاعر ويحتلّ نسبة مئوية عالية في نتاجاته وهذه النسبة ترمز للتفاؤل والأمل والتطلّع نحو مستقبل زاهر.

الهوامش:

نبذة عن حياة الشاعر: الشاعر المرشح لهذه الدراسة «هو عبد الرحيم محمود بن عبد الحليم الذي وُلِد في أحد أيام الربيع من سنة ١٩١٣م في قرية عنتابا» (ابو شمالة، ٢٠٠٣: ٤٣). عاش طفولته تحت رعاية والديه، وكان منذ صغره يحب العلم والدين حيث جعله يقبل على قراءة القرآن الكريم ثم يهتم بحفظه. ولقّب بأبي الطيب لأنّ ابنه الأكبر كان اسمه الطيب وقد «تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة القرية ثم انتقل إلى طولكرم ودرس بها المرحلة الثانوية لمدة أربع سنوات». (أبو مازن، ١٩٩٠: ٢٧٠)

ومن خصائص الشاعر أنّ الجهاد والمقاومة يظهران بشكل دقيق وحاسم في حياته فلا يمكن أن نقرأ هذه الحياة بعيدة عن جهاده ومقاومته لأنّ حياته وجهاده مُزجا معاً حتى يصعب علينا أن نفرّق بينهما، كما أنّ آراء الشاعر وأفكاره تتجلى في شعره، وشعره يوحي بأنّه شاعر فارس أبيّ له وعي عميق في السياسة. ومع أنّه لبث سنين في العراق لكنّه عاد إلى وطنه سنة ١٩٤١م، «وقد عاش وهو يحمل روحه على راحته- كما يقول- ويحساس غيبي شفيف عاش يتغزل في الاستشهاد، ويتعاطف مع صوت الموت والفداء». (قميحة، ١٩٨٦: ٧٥) ثمّ «في شهر نيسان عام ١٩٤٨م عُيّن أمراً للانضباط في مدينة طولكرم، وظلّ يناضل حتّى وافاه الأجل في معركة الشجرة التي دارت رحاها أمام قرية الشجرة عام ١٩٤٨م مليئاً نداء وطنه». (جميل عابد، ٢٠١١: ٨)

المصادر والمراجع

الف) الكتب

- ابن فارس، أبو الحسين أحمد. (١٩٧٢م). مقاييس اللّغة، تحقيق عبدالسلام هارون، بيروت: دار الفكر.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٩٩٤م). لسان العرب، ط٢، بيروت: دار الصادر.
- أبو شمالة، فايز صالح. (٢٠٠٣م). على صهوة الشعر مع الشاعر الفارس الشهيد عبد الرحيم محمود، فلسطين: خانيونس التجارية.
- أبو مازن، محمد عبدالقادر. (١٩٩٠م). شهداء فلسطين، ط١، عمان الأردن: دار الفرقان.
- الثعالبي، ابو منصور عبدالملك ابو محمد. (٢٠٠١م). فقه اللّغة، تحقيق جمال طلبة، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الزواهرة، ظاهر. اللون ودلالته في الشعر - الشعر الأردني نموذجاً، ط١، عمّان: دار الحامد.
- صانع، وجدان. (٢٠٠٣م). الصور الاستعمارية في الشعر العربي الحديث، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للنشر.
- صالح، قاسم حسين. (٢٠١٠م). سيكولوجية إدراك اللون والشكل، ط٢، دمشق: دار علاء الدين.
- عمر، أحمد مختار. (١٩٨٢م). اللّغة واللون، ط١، القاهرة: عالم الكتب.
- قميحة، جابر. (١٩٨٦م). الشاعر الفلسطيني الشهيد عبد الرحيم محمود: ملحمة الكلمة والدم، ط١، القاهرة: كلية الألسن- جامعة عين الشمس.
- محمود، عبد الرحيم. (١٩٨٨م). الأعمال الكاملة للشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود: جمعه عزّالدين المناصرة، ط١، دمشق: دار الجليل.
- همام، محمد يوسف. (١٩٣٠م). اللون، القاهرة، مطبعة الاعتماد، ط١.

ب) الرسائل

- جميل عابد، حنان. (٢٠٠١م). **الصيغ الصرفية ودلالاتها في ديوان عبد الرحيم محمود**، دراسة وصفية متطلب تكميلي لنيل درجة ماجستير في العلوم اللغوية، جامعة الأزهر-غزة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية-العلوم اللغوية، قاهره: دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع.
- عبد القادر أبو عون، أمل محمود. (٢٠٠٣م). **اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي: شعراء المعلقات**، رسالة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
- عيساوي، فايزة. (١٤٣٧ق). **اللون والدلالة في الشعر الجزائري المعاصر "نماذج مختارة"**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خضير بسكرة - الجزائر.
- غنام المطيري، عبدالعزيز، «**الدلالة النفسية للون في شعر الطبيعة في العصر الأندلسي**»، رسالة الماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٤م.

ج) المقالات

- آباد، مرضيه ورسول بلاوي. (٢٠١٢م). «**دلالات الألوان في شعر يحيى السماوي**»، **إضاءات نقدية**، جامعة آزاد الإسلامية فرع كرج، العدد ٨، صص ٩-٣٢.
- ايرواني، عبدالغني وعلى سعيداوي وجمال طالبي قره قشلايبي. (١٤٣٤ق). «**ملاحح القضية الإسلامية في أدب المهجرين**»، **مجلة اللغة العربية وآدابها**، جامعة طهران فرديس فارابي، العدد ٢، صص ٥-٢٤.
- الزواهرة، ظاهر محمّد وعبدالباسط محمد الزبود. (٢٠١٤م). «**دلالات اللون في شعر بدر شاكر السياب (ديوان أنشودة المطر نموذجاً)**»، **دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية**، العدد ٢، صص ٥٨٩-٦٠٠.
- عسكري، صادق وزهراء زارع فخري ومحترم عسكري. (٢٠١٢م). «**لوتيات ابن خفاجة الأندلسي**»، **مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها**، جامعتا سمنان - تشرين، عدد ٩، صص ٧٧-١٠٤.
- قاسمي حاجي آبادي، ليلا ومهدي ممتحن. (١٣٨٩) «**الجمال اللوني في الشعر العربي من خلال التنوع الدلالي**»، **فصلية دراسات الأدب المعاصر**، جيرفت، العدد ٩، صص ٨٣-١٠١.
- متقي زاده، عيسى وخاطره احمددي. (٢٠١٤م) «**دلالة الألوان في شعر المتنبّي**»، **إضاءات نقدية**، جامعة آزاد الإسلامية فرع كرج، العدد ١٥، صص ١٣١-١٥٠.
- نشوان، حسين. (٢٠٠٤م). «**المعجم الأردني في شعر عز الدين المناصرة**»، **مجلة أفكار**، العدد ٩، صص ٢٠٣-٢٢١.

فصلنامه لسان مبین (پژوهش ادب عربی)

(علمی - پژوهشی)

سال نهم، دوره جدید، شماره سی و یکم، بهار ۱۳۹۷

کارکرد رنگ ودلالت‌های نمادین آن در شعر عبدالرحیم محمود*

علی خضری، استادیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه خلیج فارس، بوشهر
رسول بلاوی، استادیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه خلیج فارس، بوشهر
فاطمه محمدی، دانش‌آموخته کارشناسی ارشد زبان و ادبیات عربی، دانشگاه خلیج فارس، بوشهر

چکیده

رنگ یکی از زیباترین عناصر طبیعت به شمار می‌رود و شاعران برای تعبیر از افکار و ایده‌های خود، از این عنصر فراوان استفاده می‌کنند. آنان رنگ را به عنوان جلوه‌ای از ساختار شعری خویش به کار می‌گیرند تا از این رهگذر احساسات درونی خویش را بیان نمایند. گاهی نیز با توجه به سبک و سیاق و موضوع شعری، دلالت‌های معنایی جدیدی به این پدیده اضافه می‌کنند که نشان از گرایش‌های فکری آنان دارد. از جمله شاعرانی که قصیده‌های خویش را با رنگ زینت داده، شاعر پایداری فلسطین عبدالرحیم محمود است که این عنصر را به عنوان روشی برای بیان احساسات و عواطف درونی خویش در قبال حوادث روی داده در وطن، انتخاب نموده است.

ما در این پژوهش برآنیم تا به روش توصیفی - تحلیلی و با تکیه بر روش آماری به دلالت‌های رنگ در شعر عبدالرحیم محمود پردازیم و تأثیر رنگ‌ها را در بیان شاعر و احساسات انقلابی و حماسی وی تبیین نماییم. یافته‌ها نشان می‌دهد که شاعر به صورت مستقیم و غیر مستقیم از عنصر رنگ بهره جسته تا هم از خشونت زبان و واژگان در اشعار پایداری خویش رهایی یابد و هم با سیر در جهان رنگارنگ طبیعت با عواطف خواننده همراهی کند. از این طریق رویدادهای دردناک و تأسف برانگیز که در میهنش اتفاق افتاده را بیان کند. همچنین وی رنگ سفید را بیشتر از سایر رنگ‌ها بکار گرفته است که علی‌رغم حوادث دردناک موجود، نشان از پویایی، پاکی، امید به آینده‌ای آرمانی دارد که در وجود شاعر نقش بسته است. بنابراین بن‌مایه‌های پایداری شاعر را بر آن داشت تا به خاطر دلالت‌های نمادین رنگ‌ها، به برخی از آن‌ها از جمله رنگ سفید (دلالت بر آینده‌ای آرمانی)، رنگ سیاه (دلالت بر وضع اسفناک موجود) و رنگ قرمز (دلالت بر شهادت و جنگ و جهاد) بیشتر تأکید داشته باشد.

کلمات کلیدی: شعر معاصر، فلسطین، کارکرد رنگ، عبدالرحیم محمود.